6. العمارة المرابطية:

قامت الدولة المرابطية لتأكد تلك النزعة التي أظهرها بنو زيري لإقامة دولة مستقلة عن المشرق، كما أنها قامت على أساس دعوة دينية كان قائدها الفقيه المالكي عبد الله بن ياسين، ثم ما لبث أن أصبحت مشروعا سياسيا بعد زاد عدد أتباعها، وهذا بعد أن طلب ياسين من أتباعه الخروج بقوله لهم: "اخرجوا فأنتم المرابطون" وكان ذلك في حدود 445هـ/1053م وما لبث أن توفي في إحدى المعارك سنة 451هـ/1059م وهذا بعد أن وحد صنهاجة وجعل منهم قوة في صحراء قبائل لمتونه، ومع بداية حكم يوسف بن تشفين 453-500هـ/1061-1107م ومعه بنيت مدينة مراكش كعاصمة للدولة وامتد سلطانها إلى المغرب والجزائر فاستولى على فاس وكناس وسبته وطنجة، ثم الأندلس.

خلفت لنا الدولة المرابطية تراثا أثريا ضخما ورائعا بالأندلس وبلاد المغرب، ونستعرض العمائر الدينية التي خلفوها ببلاد المغرب الإسلامي، خاصة وأن الدولة المرابطية قامت على أساس دعوة دينية بالدرجة الأولى قادها عبد الله بن ياسين ومن هنا كان اهتمام ولاة الأمر المرابطين ببناء المساجد وتعميرها باعتبارها مركز الإشعاع الفكري لهذه الدعوة، فضلا عن إقامة الصلاة وتنفيذ تعاليم الدين.

*** جامع تلمسان:**

بعد أن استولى يوسف بن تشفين على أجادير قام بتأسيس مدينة تاجرارت عام 475هـ/1082م وأقام بها مسجدا جامعا بها، ومن المعلوم أن مسجدي الجزائر وندرومة يمثلان بداية الفن المرابطي المتسم بالبساطة والخشونة نجد أن مسجد تلمسان على عكس ذلك جاء متسما بالثراء الفني والزخرفي نتيجة تأثره بالفن الأندلسي.

عرف المسجد زيادة في عمارته وزخرفته على عهد علي بن يوسف سنة 536هـ/1136م وقد كان يوسف متأثرا بالفن الأندلسي في صورة السقف المسطح من الداخل الجملوني من الخارج وزخارف السقف الخشبي، إلى جانب كثافة الزخارف الجصية.

*** تخطيط الجامع:**

الصورة رقم : الجامع الكبير بتلمسان

يتكون من مساحة مستطيلة غير منتظمة الأبعاد، حيث يوجد انحراف في الجدار الجنوبي-الغربي، وينقسم الجامع إلى صحن يقترب شكل مخططه من المربع، تحيط به 04 ظلات أكبرها ظلة القبلة، ويبلغ عمق بيت الصلاة هذه 60م وعرضه 50م، وهي مؤلفة من 13 بلاطة عمودية على جدار القبلة، تفصل بينها 12 بائكة من العقود وتتكون كل منها من 06 عقود بعضها بيضوي وبعضها الآخر مفصص أو على شكل حدوة الفرس، ويقسم هذه المساحة بائكتان موازيتان لجدار القبلة، تتكون كل منهما من 13 عقدا محمولة على دعامات، والبائكات التي تمتد موازية لجدار القبلة وتقطع البائكات الممتدة معامدة على جدار القبلة وجدت في عمارة الأغالبة في كل من جامع عقبة بن نافع بالقيروان وجامع الزيتونة بتونس.

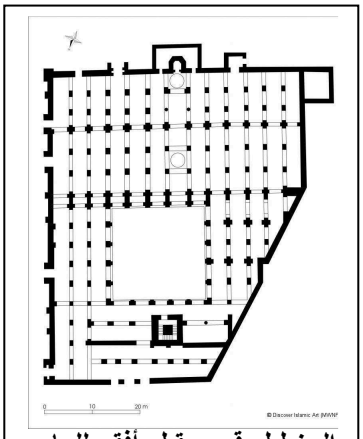
المخطط رقم : مقطع أفقي للجامع

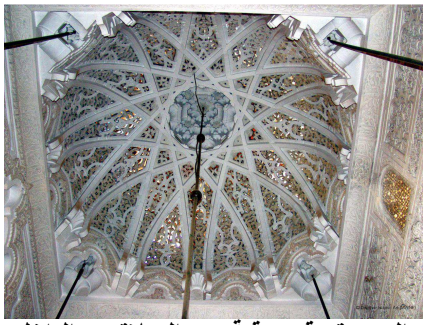
الصورة رقم : قبة بيت الصلاة من الداخل

البلاطة الوسطى من لبيت الصلاة أكثر اتساعا مقارنة بباقي البلاطات، ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو عبارة عن تجويف عميق معقود، وإلى اليمين منه غرفة مخصصة للمنبر، كما توجد غرفة أخرى مخصصة للخطيب، ويغطي مربعة المحراب قبة مسجل عليها كتابة بخط الثلث، تشير إلى تاريخ الفراغ من بنائه عام 530هـ/1135م، وهي قبة من أضلاع متقاطعة تقليدا لتلك الموجودة بجامع قرطبة وطليطلة، حيث ينتج عن تقاطع ضلوع القبة قبيبة صغيرة من المقرنصات، كما توجد قبة على المربعة قبل الأخيرة من البلاطة الوسطى من ناحية الصحن، وهذا يدل على أن جدار القبلة كان عند هذه النقطة حيث كان المتبع وضع قبة فوق مربعة المحراب وأخرى عند بهو وتسمى "قبة البهو"، وترتكز كل من قبة المحراب والقبة الوسطى على مجموعة من الأقواس الدقيقة والمتداخلة وهي تبدو

لدقتها خطوطا هندسية عريضة تزين داخل القبة وخارجها، والأقواس المتداخلة تجعلنا نعتقد أنه بني قفص حجري ثم عمد الفنانون إلى ملء الفراغ بالأشكال التزينية.

يوجد في الجانب الجنوبي-الشرقي من جدار القبلة فتحة باب تؤدي إلى البلاطة الرابعة، كما يوجد في الجدار الشمالي-الشرقي 04 فتحات أبواب اثنتان منها تؤدي إلى ظلة القبلة، وعملا بمبدأ التماثل الذي يميز عمائر تلك الفترة، فإنه من الراجح وجود 04 فتحات أبواب مماثلة في الجدار المقابل.

الصورة رقم : منذ جامع تلمسان

غطيت كل بلاطة بسقف من القرميد مكون من سطحين مزدوجين، وتستند عوارض الهيكل الخشبي على وصلات حاملة نحتت عليها زخرفة نباتية، وغطيت قبتا البلاطة الوسطى بالقرميد رباعية السطوح، كما هو الحال في الجامع الكبير بالجزائر، كما أن مدخل بيت الصلاة من جهة الصحن معقود بعقد متعدد الفصوص، وهو أعلى من بقية العقود.

تتكون الظلة الشمالية أي مؤخر المسجد من بائكتين من العقود، ويتوسطها مئذنة مربعة بنيت في عهد يغمراسن مؤسس الدولة الزيانية في القرن 13م، حيث يدخل إلى هذه الأخيرة من الظلة، وكانت تشرف الصومعة على الواجهة الشمالية الغربية غير أنه تم عمل سقيفة من بائكة واحدة من 08 عقود تتقدم هذا الجدار، وكذلك تم مد البلاطتين الغربية والشرقية حتى هذا الجدار المضاف.

بالنسبة للجهتين الشرقية والغربية يحيط الصحن مجنبات هي امتداد لبيت الصلاة، وهي 03 أروقة شرقية و04 غربية، هذه الأروقة المتعدد المجنبات توجد بعدد من مساجد المغرب، وهي من خصائص الفن المرابطي، ومعها يبدو الصحن كأنه في وسط الجامع، والجهة الخلفية للجامع بما فيها الصحن والمجنبات، تبدو منحرفة نحو الشرق وتشكل مع بيت الصلاة زاوية منفتحة، وهناك من يرى أن هناك مبنى مفترض أدى إلى انحراف الجامع، ربما قد يكون قصر الحاكم.